الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

المستوى: سنة ثانية

تخصص: فلسفة.

السداسي: الثاني

مقياس: فلسفة التاريخ

المحاضرة الخامسة: فلسفة التاريخ عند هيغل.

إعداد الأستاذة: معروف حنان.

تمهيد: إن فلسفة **هيغل 1770م-1831م** التاريخية يمكن أن تعبر عن فلسفته كلها، ويوضح هذا المعنى" جوستاين غاردر "بقوله: "مصطلح الفلسفة يعني عند هيجل: منهجًا لفهم حركة التاريخ قبل كل شيء؛ لذلك يبدو من شبه المستحيل أن نتحدث عن هيجل، دون أن نتحدث عن تاريخ البشر."ولذلك فإنه عند تناول فلسفة التاريخ عند هيجل فكأننا نتناول فلسفة هيجل من كل جوانبها، وليست نظريته التاريخية فقط، وهنا تكمن صعوبة" الدراسات الهيجلية "عمومًا، ففلسفة هيجل متداخلة ومترابطة بشكل عجيب، حيث لا يمكن فهم فلسفته في قضية جزئية إلا من خلال فهم فلسفته ككل، يقول الدكتور أحمد صبحي: "لا يتسنى فهم نظرية هيجل في التاريخ إلا من خلال النسق العام لفلسفته.

1-الديالكتيك أو الجدل عند هيغل: يتألف الجدل عند هيجل من حركة ضرورية ثلاثية، تنتقل من" الدعوى "إلى" نقيضها "إلى" التأليف "بين الطرفين، وشرح هذا" الثالوث) "كما أطلق عليه هيجل هو:إننا في البداية نتناول فكرة ناقصة، فتؤدي متناقضاتها إلى أن يحل محلها نقيضها،

غير أن هذا النقيض تظهر فيه العيوب نفسها، فلا يبقى طريق للخلاص سوى أن ندمج بين محاسن التصورين في تصور ثالث، ومع أن هذا العلاج من شأنه أن يحل المشكلات السابقة ويتقدم بنا خطوة نحو "الحقيقة"، إلا أنه بدوره يتكشف عن متناقضات، فينشأ من جديد موضوع ونقيضه، ثم يرتفع هذا التناقض بينهما في تآلف جديد، وهكذا دواليك، حتى نصل إلى مقولة)الفكرة المطلقة"، أي: إن الجدلية هي تعبير عن التفاعل بين الفكرة ونقيضها، على نحو يدفعها للتطوير والرقي، على شكل سلم لولبي، حتى نصل إلى" الفكرة المطلقة.."، وإذا كان الجدل هو عصب فلسفة هيجل، فالتناقض هو عصب جدليته، فهو – حسبما يرى هيجل – أصل كل حركة وتطور وتقدم، ولولاه ما تحققت حركة أي شيء وحيويته،أو كما يعبر عن ذلك "جوستاين غاردر" :"ما من شيء أفضل للتقدم من وجود معارضين أقوياء. إن التاريخ – عند هيجل – حركة منطقية (جدلية)، وهو في الغالب سلسلة من الثورات، يستخدم فيها "المُطْلَق" الشعوب إثر الشعوب والعباقرة إثر العباقرة أدوات في تحقيق النمو والتطور (نحو الحرية) إن هذه العملية المنطقية (الجدلية) في سير التاريخ تجعل من التغيير مبدأ الحياة الأساسي؛ إذ لا شيء خالد، وفي كل مرحلة من مراحل التاريخ يوجد تناقض وتعارض لا يقوى على حله سوى صراع الأضداد والتاريخ هو نمو نحو الحرية وتطورها".

2-فلسفة التاريخ عند هيغل: قبل أن يبدأ هيجل استعراض فلسفته للتاريخ، يؤكد أنه لا يقصد عرض مجموعة من الملاحظات العامة حول التاريخ، أو تناول تاريخ جزئي لأمة من الأمم، بل التاريخ الكلي والعام للإنسانية، تاريخ الإنسان وتطوره الحضاري، ومَهَّد لذلك بعرضٍ للمناهج التي يمكن أن يُدرَس بها التاريخ، وقد قسمها إلى ثلاثة أنواع:

أ- التاريخ الأصلي:

والمقصود به هو التاريخ الذي يكتبه المؤرخ وهو يعيش أصل الأحداث ومنبعها، فهو ينقل ما يراه أمامه، وما سمعه من الآخرين كما هو.

ب- التاريخ النظري:

"وهذا النوع لا يقف فيه المؤرخ عند أحداث عصره وما شاهده بنفسه، بل يعرض تاريخ أمة من الأمم، أو عصرًا من العصور يجاوز عصره، فيقوم بجمع المادة التاريخية وتصنيفها، وتبدو في هذا النوع من التاريخ طريقة المؤرخ وأسلوبه في عرض الوقائع وتفسيره لبواعثها، فلكل مؤرخ طابعه الخاص الذي يتميز به.

ج- التاريخ الفلسفي:

وهذا النوع هو المقصود بفلسفة التاريخ عند هيجل، "ومن هنا فإن الطريقتين السابقتين من طرق الكتابة التاريخية إنما تشكلان مادة الكتابة لهذا النوع الثالث إن الدراسة الفلسفية للتاريخ تعني دراسة التاريخ من خلال الفكر؛ لأن التاريخ هو تاريخ الإنسان، وجوهر الإنسان هو الفكر ومن هنا نبتت نظرية هيجل في التفسير التاريخي، وهي أن تاريخ العالم يتمثل أمامنا بوصفه مسارًا عقليًّا، وأن العقل يسيطر على العالم، وأن مسار التاريخ الإنساني إنما هو مسار تطور العقل.

•هذه المقولة" العقل يحكم التاريخ "هي المحور الذي تدور حوله فلسفة هيجل التاريخية، ويمكن أن نعتبرها تلخيصًا لفلسفته كلها.

3- العقل يحكم التاريخ: يرى هيجل أن هذه الفكرة التي تقول بأن (العقل أو الروح يحكم التاريخ أو العالم) ليست جديدة، بل قديمة قدم الفلسفة اليونانية، وشائعة شيوع الدين، فالفلسفة اليونانية تعني بهذه المقولة أن الطبيعة تجسيد للعقل، وأنها تخضع لقوانين كلية، أما من الناحية الدينية، فيذكر هيجل أن أحداث العالم ليست متروكة للمصادفات؛ وإنما هناك حكمة إلهية أو عناية إلهية توجه العالم، وبالتالي فإن كل ما يحدث للعالم طبقًا لخطة إلهية.

يصف هيجل مجرى التاريخ كمسار الضوء، فكما أن الشمس تشرق من الشرق وتغرب في الغرب، فإن آسيا هي بداية التاريخ، وأوربا هي نهايته، وقد اعتبر أن تاريخ العالم ليس إلا ترويض الإرادة الطبيعية على الخضوع للنظام، وجعلها تطيع المبدأ العام .

وقد جعل المراحل التي سارت فيها هذه العملية هي:

-**1مرحلة الطفولة:** وتبدأ من الشرق (الصين والهند) الذي لم يعرف الحرية إلا لفرد واحد.

-**2مرحلة الصبا:** التي تمثلها آسيا، ويقصد بآسيا هنا(بلاد فارس ومصر).

-**3مرحلة المراهقة:** التي تمثلها اليونان.

-**4مرحلة الرجولة:** وتمثلها الدولة الرومانية.

-**5مرحلة الشيخوخة:** ويمثلها العالم الجرماني، ويقول هيجل عن هذه المرحلة: "إذا كانت الشيخوخة في الطبيعة تعني الضعف والهرم، فإن شيخوخة الروح تعني نضجها وقوتها الكاملة.

•هذه هي النتيجة النهائية التي لخص بها هيجل فلسفته للتاريخ، حيث اعتبر أن الوعي بالحرية هو النتيجة النهائية التي يتجه مسار التاريخ إلى إنجازها.